المعيار

مجلة دورية محكمة تصدر عن المركز الجامعي تيسمسيلت. الجزائر

العدد : 03 / جوان 2011

المركز الجامعي: تيسمسيلت - الجزائر- الهاتف/الفاكس
: 046/47/56/18

منشورات

AL MI'YAR

Revue périodique publiée par le Centre Universitaire de Tissemsilt Algerie

N° 3. Septembre 2011

شارك في العدد

عبد القادر رابحي. سعاد شريف. مسكين دايري. مختارية بلعبدي. علي بوعزيزة. كاملة مولاي. خالد بن شعيب. بوبكر معزيز. عبد الرحمن براهيم فواتيح. براهيم بلقاسم. أحمد لعروسي. توفيق مالكي. أحمد شامي. أحمد محمودي. بوعبد الله رابحي. صغير عبد الصمد.

Centre Universitaire de Tissemsilt Algerie .Tel / fax: 046 47 56 18

ISSN 2170-0931

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

أ. مرسي رشيد

المركز الجامعي: تيسمسيلت. الجزائر.

الهاتف/الفاكس: 18 56 47 046

البريد الألكتروني:

Rachidmersi @yahoo.fr

ISSN 2170-0931

شروط النشر وضوابطه

– المعيار مجلة علمية محكمة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية والعلمية والأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.

– دورية تصدر مرتين في السنة عن المركز الجامعي بتيسمسيلت. الجزائر.

– تُقبل البحوث باللغات العربية والفرنسية والانجليزية.

– تخضع البحوث والدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.

– تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.

– تُقدم البحوث والدراسات مكتوبة في ورقة على مقاس (24/17) بهامش 2.5سنتيم عن يمين الصفحة ويسارها وأسفلها وهامش 2.00سنتيم عن أعلى الصفحة.

– تتم الكتابة بخط (Traditional Arabic) حجم(16)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (14).

– تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة العربية بخط (Times new roman) حجم (14)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (12).

– تكون الهوامش والإحالات في آخر الدراسة ولا يستعمل فيها التهميش الأوتوماتيكي.

– يُقدم البحث في قرص مضغوط ونسخة ورقية مطبوعة.

– لا يقل حجم البحث عن10صفحات ولا تتجاوز 20 صفحة.

– الأعمال المقدمة لا تُردّ إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

– المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسئولة عن أراك وأحكام الكتاب.

كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية وفنية.

رئيس المجلة : د. **بن جامعة الطيب**. مدير المركز الجامعي تيسمسيلت

المدير المسؤول عن النشر **د. بلحسين محمد.**
مدير مساعد مكلف بالدراسات.

رئيس الهيئة **أ. دردار بشير.**

رئيس التحرير **أ. مرسي رشيد.**

هيئة التحرير

أ. **دايري مسكين** أ. **تواتي خالد**

أ. **روشو خالد** أ. **لعقاب الجيلالي**

أ. **بلخياطي الحاج لونيس** أ. **يعقوبي قدوية**

الهيئة العلمية

أ.**د محمد عباس**. جامعة تلمسان.

د.**بوسماحة الشيخ**. جامعة ابن خلدون. تيارت.

أ.**د مختار حبار**. جامعة وهران.

أ.**د شريط عابد**،جامعة ابن خلدون . تيارت.

أ.**د عبد الجليل مرتاض**. جامعة تلمسان.

د. **عبد القادر رابحي**. جامعة سعيدة.

أ.**د محمد بلوحي**. جامعة سيدي بلعباس.

د. **علي كبريت**، المركز الجامعي. تيسمسيلت.

التنفيذ التقني

لخضر بوسعيد ونورة عرجان

تصميم الغلاف **بد القادر رابحي**

كـلـمـة افـتـتـا حـيـة

بصدور عددها الثالث تكون مجلة المعيار قد تخطت بإذن الله تعالى مرحلة البحث عن تصور أولي لترسيخ رؤية بحثية في المركز الجامعي بتيسمسيلت، لتدخل في مرحلة أكثر ثقة بنفسها وبإمكانياتها العلمية والمعنوية في تثبيت تجربة العمل على ترسيخ هذه الرؤية من خلال الحفاظ على تقاليد العمل العلمي ونشره في دورية تطمح لتحقيق البقاء والاستمرارية من جهة، وتوسيع دائرة المعرفة على مستوى المركز الجامعي والخروج بها من ثمة إلى معانقة تجارب أعمق في الجامعات الجزائرية الأخرى.

ونحن إذ نشكر مسئولي المركز الجامعي بتسمسيلت على ما وفروه من إمكانات مادية من أجل صدور المجلة في موعدها، فإننا نشكر كذلك كل من ساهم من الأساتذة في توفير المادة العلمية. وستسعى المجلة بإذن الله تعالى أن تتفادى هفواتها الأولية بتنويع مصادر مادتها العلمية والحرص على تقديمها في صورة صارمة يكون هدفها خدمة البحث والباحثين والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

د. محمد بلحسين.

المدير مسئول النشر

محتويات العدد

اللغة والأدب العربي

– شعرية ما بعد السبعينيات واستحضار المرجعيات المغيّبة في النص الشعري الجزائري المعاصر/**د. عبد القادر رابحي**.....**ص:09**

– شعرية التناص في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي

أ: سعاد شريف.....**ص:27**

– السيميائيات تحوّل مستمر في البحث عن الدلالة

أ. مسكين دايري.....**ص:42**

– مصطلح التناص في النقد الحديث

أ: مختارية بلعابدي.....**ص:54**

– صورة تلمسان في الشّعر من ابن خميس إلى كلود موريس

أ.بوعزيزة علي.....**ص:72**

– التركيب المنهجي لدى محمد مفتاح (تناهج أم تلفيق)؟

أ.كاملة مولاي.....**ص:90**

– التحليل النفسي وجمالية التلقي

أ. خالد بن شعيب.....**ص:112**

– العقل المستعار في "منهج طه حسين"

أ. بوبكر معزيز.....**ص:133**

-استنباط الأحكام الفقهية والبيانية من خلال أسلوب الالتفات

أ: عبد الرحيم إبراهيم فواتيح .....ص: 149

- تقارض حروف المعاني بين النحو والبلاغة

د. ابراهيم بلقاسم..... ص:162

العلوم القانونية والإدارية

-المسؤولية المدنية لدولة الاحتلال عن انتهاكات حقوق الإنسان

أحمد.لعروسي.....ص:176

-الإبلاغ كآلية لمكافحة جرائم الفساد

أ. توفيق مالكي.....ص:195

-أثر العولمة على التحول الديمقراطي في الجزائر خلال دستور 1996

أ. أحمد شامي.....ص: 217

العلوم الاقتصادية ولتجارية

- فعالية تسعير الخدمات في تحقيق رضا العميل في سوق خدمة الهاتف النقال دراسة حالة مؤسسة أوراسكوم تيليكوم الجزائر Gsm Djezzy

أ. أحمد محمودي.....ص:247

- دراسة علاقة التكوين المهني بالمحيط الاقتصادي في ظل إصلاحات المنظومة التكوينية

أ. بوعبد الله رابحي.....**ص:262**
- واقع مؤشرات اقتصاد المعرفة في الجزائر
أ. صغير عبد الصمد.....**ص:285**

العقل المستعار في "منهج طه حسين

الأستاذ: معزيز بوبكر
كلية الآداب واللغات
جامعة ابن خلدون. تيارت

توجيه الإشكال:

إنّ الانعطاف الذي هيمن على الخطاب العربي في مستوياته المختلفة، يوحي بتدمير كل ماله صلة، بالتفكير القديم، وقد نعتقد أن بوادر التبعية للغرب في الإبداع كرسها "طه حسين "ومن خرج من معطفه، وبهذه التبعية، نرى أن الهوية العربية باتت مهزوزة بجميع أركانها ومقوماتها، فالتبعية السافرة والدعوة للتحديث لدى "طه حسين "هي التي يُعتد بها الآن لدى دعاة الحداثة، محققة الأهداف الغربية، ومؤكدة تخلف العقل العربي، وتخاذله إلى المجاهرة بالتمسك بالتراث واعتباره مرجعية معرفية يجب الانطلاق منها. هذه القراءة التي اعتمدها "طه حسين" توحي بمفاهيم كثيرة، وتنذر – على الأقل –بإعادة النظر إلى التراث العربي، بخصوصية عربية، لأنّ جناية المنهج الديكارتي، على الخطاب العربي قاتلة ومؤلمة.

مقدمة:

ما يُمكن ملاحظته في خلال القرن العشرين ذلك التطور الكبير الذي أتى على مناحي الحياة المختلفة، إذ حققت العوم الدقيقة انتصارات باهرة شأنها شأن العوم الإنسانية التي ظهرت فيها أبحاثاً جادة ومتميزة بشرت بتنظيم الحياة المعرفية، وبمنهاج جديدة، ونظريات مختلفة في المجال التاريخي والفلسفي والأدبي، ولما كانت أوربا الوجهة المخلصة، توجهت الأمة العربية بوعي كبير إلى هدا الشق بحثاً عن الخلاص، فقد سعت إلى تكليف خيرة أبنائها بهذه المهمة الشاقة ودفعت بهم إلى مراكز العلم والمعرفة لنقل

هذه الخبرات وتيسيرها لفهم الحياة الجديد، والأخذ في النهاية بناصية الأمة للإنعتاق مما كان متسلط عليها.

ولكن يبدو أن هذا المسعى قد جوبه بعدة عراقيل واعتراضات قللت من القيم النبيلة التي تحملها هذا المشروع، وبخاصة عندما حاولت هذه البعثات تبني وتطبيق هذه المناهج في مختلف العلوم والحقول، فقد كان الصدام أولاً مع الذات ومع التراث سيما في المجال الأدبي، إذ ولّد هذا الصراع بين القديم المقدس والجديد الوافد صراعا كبيرا ومعارك لازالت إلى اليوم وربما أخطر لأنّ الصراع تحول إلى صراع هوية بالدرجة الأولى. ولعل أبرز من تتجسّد فيه ملامح هدا الصراع "طه حسين" ذلك الرجل الثائر والمثير حقا. وقد كانت البداية في كتابه "في الشعر الجاهلي " الذي أُلف سنة (1926) ولكن لماذا هذا الصراع ونحن الآن نتعلق بعباءة الغرب في كل شيء؟ ألا يمكن أن نردّ الاعتبار لطه حسين وننصف الأفكار التي دعا إليها في مؤلفه؟ فتلك الضجة التي أفاضت الكأس مبهرة والأسئلة محرجة ولكن سرعان ما يجد القارئ الواعي تسويغاً عندما يقرأ مضامين الكتاب "في الشعر الجاهلي" – الذي أتمنى أن تعاد قراءته — ويحدد الافتراضات حول قيمة الشعر الجاهلي ومدى عكسه للحياة في ذلك الوقت.

فالكاتب يفترض مسبقا أن أغلب ما ندرسه من شعر جاهلي وندعي أنه كذلك ليس من الجاهلية في شيء، ولا يعكس حياة الناس قبل الإسلام ولكنّه شعر موضوع تدخلت أيادي كثيرة في نسجه وتثبيته وتأييده في وقت ما يسمى بالرواية. والدعوة هنا من الكاتب مشفوعة بضرورة إعادة القراءة أو النظر في أدب هذه الفترة المعقدة من تاريخ العرب. فالجرأة التي اتسم بها "طه حسين" في هدا المؤلّف هي التي دفعت ببعض الأقلام للتحامل عليه ووسمه بالكفر والمروق والخروج عن الملة والإلحاد. ومثل هذه الدعوة المتحررة تدل على أن الرجل يدعو إلى التغيير الذي آمن به منذ الصغر، ويدعو إلى ضرورة التحرر من عقدة تفوق للآخر.

1- مصادر منهج "طه حسين" واستعارة الآخر:

1-1 نوافذ: الميلاد، والعمل، والمؤلفات:

ولد طه حسين عام 1889، وعاش طفولته الباكرة في إحدى قرى الريف المصري. ثم انتقل إلى الأزهر للدراسة، ولم يوفق فيه، فتحول إلى الجامعة المصرية، وحصل منها على الشهادة الجامعية، ثم دفعه طموحه لإتمام دراساته العليا في باريس، وبالرغم من اعتراضات مجلس البعثات الكثيرة، إلا انه أعاد تقديم طلبه ثلاث مرات، ونجح في نهاية المطاف في الحصول على شهادة الدكتوراه في باريس. بعد عودته لمصر، أنتج أعمالا كثيرة قيمة منها على "هامش السيرة "، و"الأيام"، و"مستقبل الثقافة في مصر"، وغيرها. وهو يعتبر بحق "عميد الأدب العربي "نظراً لتأثيره الواضح على الثقافة المصرية والعربية.

وقد كتب أيضاً: في الشعر الجاهلي. وتميزت هذه الفترة من حياة الأديب الكبير – رحمه الله – بسخطه الواضح على تقاليد مجتمعه وعاداته الشائعة في كتاباته. ومن المؤكد أن لهذه المرارة دوافعها: "فطه حسين" فقد البصر صغيراً بسبب جهل أسرته بأسس الرعاية الصحية. وهي خسارة فاحشة لا يمكن تعويضها. وقد رفض المجتمع المصري المحافظ الكثير من أرائه في موضوعات مختلفة حين رجوعه من فرنسا كذلك. ومن أفكاره أنه دعا إلى نهضة أدبية، وعمل على الكتابة بأسلوب سهل واضح مع المحافظة على مفردات اللغة وقواعدها، ولقد أثارت آراءه الكثيرين كما وجهت له العديد من الاتهامات، ولم يبالي طه بهذه الثورة ولا بهذه المعارضات القوية التي تعرض لها ولكن أستمر في دعوته للتجديد والتحديث، فقام بتقديم العديد من الآراء التي تميزت بالجرأة الشديدة.

مؤلفاته:

الفتنة الكبرى عثمان.
الفتنة الكبرى علي وبنوه.
في الشعر الجاهلي.
الأيام.
دعاء الكروان.

شجرة البؤس
المعذبون في الأرض.
على هامش السيرة.
حديث الأربعاء.
من حديث الشعر والنثر.
مستقبل الثقافة في مصر.
أديب
مرآة الإسلام
الشيخان
الوعد الحق
جنة الشوك
مع أبي العلاء في سجنه
في تجديد ذكرى أبي العلاء
في مرآة الصحفي

وفاته:

توفى طه حسين في 28 أكتوبر 1973م، وانتهت بموته حقبة من أغنى الحقب الأدبية والعلمية في تاريخ مصر وتاريخ العالم العربي.قال عنه العقاد "استطاع نقل الحراك الثقافي بين القديم، والحديث من دائرته الضيقة التي كان عليها إلى مستوى أوسع وأرحب بكثير". وقال عنه الدكتور إبراهيم مدكور "استنكر التسليم المطلق، ودعا إلى البحث، والتحري، بل إلى الشك والمعارضة، وأدخل المنهج النقدي في ميادين لم يكن مسلَّمًا من قبل أن يطبق فيها. أدخل في الكتابة والتعبير لونًا عذبًا من الأداء الفني حاكاه فيه كثير من الكُتَّاب وأضحى عميدَ الأدب العربي بغير منازع في العالم العربي جميعه"

2-1 منهج "طه حسين "محاورة "الأنا" و "الآخر"

مهما بلغت مؤلفات "طه حسين" من التنوع والتشعب، ومهما كان جهده في مجالي "التربية " و"التاريخ" متميز فريد فلا شك أن الإضافة الحقيقية إنما تتمثل في مؤلفاته الأدبية، وخاصة تلك التي عُنيت بدراسة الأدب، ولعل أبرز هده المؤلفات الذي تكلم فيه عن الشعر الجاهلي، وحاول إبراز قيمته التاريخية والأدبية، فالكتاب فيما يبدو قد حوى رؤية جديدة للأدب القديم تختلف كل الاختلاف عن السائد والمألوف، الأمر

الذي قسّم النقاد قسمين: واحد مستهجن لهذا التفكير نابذ لهذا النوع من الدراسة وداعيا للتصدي لها بحجة أنها تحدش في المقدس "التراث" وتلغي كثير من مسلماته والثاني يدعو إلى ضرورة إعادة النظر في هذا المقدس القديم ،وتقول بضرورة استخدام أساليب ومناهج جديدة قادرة على أن تبعث الحيوية في هذا الأدب القديم من جهة، وتنيط اللثام عن كثير من القضايا الأساسية والمسلمات التقليدية الموروثة[1] فيه من جهة أخرى.

ولما اصطدمت أفكار الفريقين بعضها ببعض نتج عن ذلك معارك أدبية وفكرية عرفها مطلع القرن العشرين، إذ يقول الفقهاء أن أكثر من أربعين كتاباً أُلّفت في الرد على "طه حسين" وما جاء به من افتراضات تُقوّض أركان الشعر العربي في جاهليته، وبلغ ببعض الدراسات اتهامه بالزندقة والمروق عن الدين.

ويحق لنا أن نتبنى هذا السؤال وهو: هل كان طه حسين غربيا أم مشرقياً في تناول الأدب الجاهلي؟ بمعنى إلى أي مدى ساهمت هذه الثقافة المخضرمة بين الشرق والغرب في تكوين شخصية "طه حسين" الأدبية والفكرية والتي طبعت فيما بعد كتاباته؟ ولماذا وُضع "طه حسين" في الزاوية المظلمة اليوم؟، وبصيغة أخرى نتساءل مع سامح كريم ((هل كان هذا المنهج الذي صبغ كتابات الدكتور "طه حسين" والذي سُمي فيما بعد بالمنهج الديكارتي ... منهجاً أصيلا في نفس "طه حسين"؟ أم أنه دخيل عليه نجم عن تعرفه على فلسفة ديكارت بنوع خاص؟ هل كان لهذا المنهج صلة بالفكر العربي أم أنه منهج أوربي خالص؟ [2].

وللإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها وبخاصة المتعلقة بالجذور المعرفية لطه حسين، لابد من الرجوع إلى معلم الثقافة الحسينية الظاهرة ونقف عند مرحلتين أساسيتين من حياته العلمية، الأولى عندما كان طالباً في الأزهر الشريف، والثانية عند وجوده بأوروبا واطلاعه على الفكر الغربي قديمه وحديثه. فلقد دخل الأزهر الشريف مبكراً وهو ابن

تسع سنين، حيث تلقى أصول الدين وتشبّع بالتعاليم الدينية، وقد كان في هذه المرحلة صانع لمشكلات المعرفة، وهذا يدل على نبوغ كامن في هذه الشخصية المتميزة والمثيرة، إذ إنّ صناعة السؤال ومحاولة الإحاطة به هي التي تَبين عن عبقرية الفرد أو الجماعة، فبداية الكون كانت بالسؤال كما يُقال.

يقول سامح كريم ((وكان طه حسين أحد الطلاب في السنوات النهائية في الأزهر أطولهم لساناً وأجرأهم قلماً وأجرحهم لفظاً))[3].

كما أن هذه الفترة التي قضاها في مصر قبل ذهابه إلى فرنسا واستيفائه لشروط الجامعة في البعثة، كانت خصبة ومليئة بالمطالعات وخاصة حول فكر أبي العلاء المعري، الذي كان بصدد إعداد رسالة حوله، ناهيك عن السعي لتعلم اللغة الفرنسية التي انبهر بها الطالب منذ البدء، وينضاف إلى تشبع الفتى بالثقافة الشعبية المليئة بالخرافات والأساطير والعادات، هذه الروافد قبل الذهاب إلى أوربا مكنته من المقاربات والمقارنات التي أجراها في التفكير.

أما المرحلة الثانية – من حياته العلمية – تبدأ منذ ذهابه إلى "مونبليه الفرنسية"، التي أمدّته بمفاتيح المعرفة الغربية، ودفعت به إلى التخلي عن كل ماله صلة بمصر والعروبة يقول سامح كريم معلقاً على لباس "طه حسين" الجديد ((خرج من جبته وقفطانه وتخفف من عمامته ودخل في ذلك الزي الأوربي ... وفي مونبليه استشعر طعماً للحياة جديداً ..بل وأكثر من ذلك وجد نفسه بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان)) [4].

وفي تلك البلاد الغربية كان "طه حسين" على موعد مع القدر السعيد، إذ ساق له هذا القدر طالبة فرنسية كانت خير عون له لا في حياته الدراسية، وحسب بل في الحياة كلها، فلقد كانت الطالبة الفرنسية إنسانة بالمعنى الشامل لهذه الكلمة وهي الصفة التي يستملحها الرجل الشرقي في المرأة، وقد ذللت أمامه غير قليل من الصّعاب، فكانت باعترافه هو الذكية الجميلة القوية القاهرة. وفي السربون أخذ "طه حسين "يحضر ((دروس

التاريخ القديم وتاريخ اليونان على "جولتن" وتاريخ الرومان على "بلوك" والأدب الفرنسي على"لانسون" والاجتماع على "الدوركايم" وديكارت على "لفي بريل" واللاتيني على "مارنا" والثورة على "أولار" والتاريخ البيزنطي على "شارل ديل".. والتاريخ الحديث على "سينيوس" والجغرافيا على"ديمانجون وجالواّ"))[5].

وقد كان كل يوم يتلمس الأثر الكبير لهؤلاء الأساتذة، وينبهر بدرايتهم واحتفائهم بالمعرفة والتحليل والمناقشة، وقد نوّه بأفكارهم وتميّزهم في مناسبات عديدة، وخاصة في كتابه حول "تاريخ الأدب الفرنسي" فقد نوه ب "لانسون" و"جولتز" وأكد أنّ الثقافة الفرنسية تركت فيه جروحاً لن تندمي أبداً. ولربما "طه حسين" كان كغيره من العرب مهيأ لتلقي هذه الثقافة الغربية المتميزة في أسلوبها وطريقة تناولها للقضايا الحاسمة.

وعاد "طه حسين " وفي يده ثلاث شهادات: اللسانس والدكتوراه ودبلوم الدراسات العليا، من جهة وفي رأسه مناهج، وأساليب جديدة في البحث والدراسة الأدبية، كما أنه مزود بأساليب الحياة الجديدة في أوربا والتي تركت لديه انطباع بعقم الثقافة العربية الراهنة.

وقد أشرف على تدريس "التاريخ القديم والروماني" واستحدث مقياس جديد في الأدب اليوناني وتاريخه، وقد اتسعت الهوة بينه وبين الطلبة والأساتذة إثر ذلك، ونشبت بعض المعارك والمناوشات، واختلفت النوايا فيها وحولها.

ولعل الحرب الأدبية الطاحنة بدأت منذ صدور كتابه "في الشعر الجاهلي" والذي تنصل فيه من القيم ومظاهر الشعر الجاهلي، هذا التنصل وهذه الجرأة لم ترضي أنصار القديم والمتعصبين له، وهو يعترف أن الدراسة المتمعنة للشعر الجاهلي أوحت له بأنه شعر موضوع قبيل الإسلام وبعده مؤكدا أنه لا يعترف بهذا الأدب المنسوب للجاهلية العربية.

وفي الحق أن السبب في هذا الاتهام للشعر الجاهلي سببه تعلق الكاتب بمنهج التفكير الغربي، فقد تأهب أغلب الدراسات إلى أنه طبق المنهج الديكارتي في الشكل والمحتوى يقول عبد العزيز المقالح ((إن ديكارتية طه حسين المزعومة إشاعة صدرت عنه أولا، فقد أثبت في أكثر من مكان من كتاباته أنه أصطنع المنهج الفلسفي الذي استحدثه ديكارت، وفي كلمة أصطنع قدر كبير من التواضع، فلم يقل مثلاً أنه إلتزم، ومع ذلك تبقى كلمة اصطنع موضع شك حين نقارن بين المنهجين، ويستطيع القارئ غير المتخصص فضلا عن القارئ المتخصص أن يُدرك أن بين منهج ديكارت ومنهج طه حسين بوناً شاسعاً)) (6).

فيستفاد من هذا الاعتراف من الناقد الكبير "المقالح" إلى أن "طه حسين" لا علاقة له بمنهج ديكارت ولكن طبيعة التفكير أوهمت النقاد إلى هذا الاعتقاد الباطل، إذ أن منهج ديكارت "منهج فلسفي" والمنهج الذي استحدثه "طه حسين" "منهج أدبي" صرف، وشك الأول وسيلة لليقين وشك الثاني وسيلة للإنكار، وتجاوز للراهن الميت المتعلق بالمورث النقلي. ((كان ديكارت فيلسوفاً شغلته قضايا الجوهر والبحث عن الكائن الوحيد، وحقيقة الذات والوجود المستقل عن الذات وغيرها من القضايا الفلسفية التي لم يُشر إليها "طه حسين" لا من قريب ولا من بعيد فيما كتب من كتابات، وهذا لا يعني أن "طه حسين" لم يقرأ ديكارت أو لم يقرأ عنه، ولكن الذي لا مراء فيه أنه لم يتأثر بفكره أو منهجه بنفس الدرجة التي تأثر بها بمناهج الكتاب والمفكرين الإسلاميين الذين قرأ لهم وعنهم في الأزهر عندما كان طالباً يعب العلوم التقليدية بنهم عظيم، ويمكن القول بعد ذلك أن شك ديكارت كان منصباً على القضايا العقلية، بينما كان شك "طه حسين" منصباً على القضايا النقلية وعلى الأمور المتعلقة بالشعر والأدب)) (7).

ويظهر إلى أن "طه حسين" في وقته كالمنظرين للفكر وللأدب فهو في تعلقه بالغرب "كأدونيس "و"محمد أركون" و"نصر حامد أبوزيد" وغيرهم ممن ينظر إلى الفكر الغربي على أنه الطريق المنظم للتفكير، وعلى أنه الجسر الذي يضمن تمريراً سليما لبضائع الفكر والأدب العربي. وعموما يرى عبد العزيز المقالح في كتابه "عمالقة عند القرن" أن شك طه حسين أزهري وليس ديكارتياً ((ومن كل ما تقدم نرى أن شك شك "طه حسين "قد كان شكاً أزهرياً بمعنى أنه نشأ عن دراسته الأزهرية، وإذا كانت الجامعة أو السربون قد صنعا شيئاً، فإنما ذلك الشيء هو صقل العقل المتمرد الشاك وجعله أكثر معاصرة ولیناً، وهو بهذا المفهوم لا يصبح شك ديكارت وإنما شك ابن سلام الجمحي وشك الجاحظ وقد كان "طه حسين" لصيقاً بآثاره ، وهو شك أبي العلاء المعري، وقد كان من أهم أساتذة "طه حسين" وأقربهم إلى نفسه وأكثرهم تأثيراً على عاطفته ويمكن القول بأن المعري قد كان بالنسبة له المثل الأعلى))[8].

من هذه الشهادات التي ركنّا إليها ركوناً يتبن لنا أن إطلاع "طه حسين" على الأدب الغربي قديمه وحديثه، لم يكن هو الأصل فيما أثاره من شكوك حول القضايا التي أثارها التفكير الشعري الجاهلي، وإنما طبيعة "طه حسين" وظروف نشأته وقسوة مشايخ الأزهر، وقسوة المناهج المعتمدة فيه هي التي دفعت هذا الرجل إلى القول بما قال سواء في كتابه "في الشعر الجاهلي" أو في الكتاب المعدل "في الأدب الجاهلي" الذي لا يختلف عن الأصل إذ بقي المنهج والتخطيط والهدف كما هو، وقد اعترف فيه " طه حسين" بأنه سلك فيه مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة، وأبتغى لنفسه التجرد من التّعصب ومن كل ما يُزري بالرّجل الكريم.

2- منهج "طه حسين في دراسة الأدب الجاهلي:

إن قضية المنهج تظل من القضايا الشائكة التي تحول دون فهم ومتابعة التفكير النقدي والأدبي، فهذه المسألة من المسائل المعقدة، ويذكر غير واحد من النقاد العرب

بأنّ المنهج طريقة تتم فيها العملية التشريحية ويتم فيها تحديد الأهداف الكامنة وراء الظواهر الإبداعية. والمنهج هو "النظام" أو "الكلام المنتظم" الذي يستند إلى أدوات ومفاهيم تنظيمية، تنظمه وتوجهه نحو الهدف المراد تحقيقه، فالوعي الذي إلتزمه "طه حسين" في كتابه "في الشعر الجاهلي" أو في كتابه المعدل " في الأدب الجاهلي "كان يدل على أن الرجل يكتب بوعي ودراية ومقدرة كبيرة يقول "طه حسين "في معرض حديثه عن المنهج الذي ارتضاه ((أحب أن أكون واضحاً جلياً، وأن أقول للناس ما أريد أن أقول دون أن أضطرهم إلى أن يتأولوا ويتحملوا ويذهبوا مذاهب مختلفة في النقد والتفسير والكشف عن الأغراض التي أرمي إليها. أريد أن أريح الناس من هذا اللون من ألوان التعب، وأن أُريح نفسي من الرد والدفع والمناقشة فيما لا يحتاج للمناقشة. أريد أن أقول إني سأسلك في هذا النحو من البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة، أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه "ديكارت" للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث)) [9].

فهذا الإعلان والاعتراف من "طه حسين" هو نوع من التجريب وليس التخريب الذي أوّله بعض النقاد على "طه حسين"، فهو يريد أن ينقل منهجاً فلسفياً ويطبق أحواله على الأدب، وقد وجد الأدب العربي خصباً لهذا المنهج، وقد تجرد من كل شيء ليصل بالمتلقي إلى الحقيقة أو ليحرك الذائقة المعرفية لديه، ولكن هذا المنهج ليس غريباً على علماء المشرق فقد سلكه "الغزالي" وغيره قبل [10].

و"طه حسين" شغوفاً بهذا المنهج لأنه في نظره كفيل بغربلة كل شيء ،ويساعد على اكتشاف الدخيل والباطل من كل تفكير، فهو المنهج الذي يقوم على تنقية العلوم والمعارف، وهذا الذي شاع عند الغرب في العهود المتعاقبة, إلى اليوم، يقول مؤكداً الدعوة إلى التعلق بهذا المنهج ((وسواء رصينا أو كرهنا فلابد من أن نتأثر بهذا المنهج في بحثنا العلمي والأدبي كما تأثر من قبلنا به أهل الغرب، ولابد من أن نصطنعه في نقد آدابنا

وتاريخنا كما اصطنعه أهل الغرب في نقد آدابهم وتاريخهم، ذلك لأنّ عقليتنا نفسها قد أخذت منذ عشرات السنين تتغير وتصبح غربية، أو قل أقرب إلى الغربية منها إلى الشرقية، وهي كلما مضى عليها الزمن جدّت في التغير وأسرعت في الاتصال بأهل الغرب))[11].

فهو هنا لا يصطنع منهجا سار على هديه الغرب المسيحي في كل أحواله المعرفية، ولكنه يدعو إلى تحديث العالم العربي وفي هذا تقوم حداثة "طه حسين" على التعلق بالغرب تعلقا أعمى، وقد تسرّب إلى ذهنه أنّ الشك هو مطية الوجود والتمكن وكان" طه حسين" قد بدأ بنقد الشعر الجاهلي منتهيا إلى التشكيك في تاريخ الأدب مطالبا بإعادة كتابة هذا التاريخ، فإنّ غيره في هذا العهد قد انطلق من تقليدية الشعر العربي المعاصر ليصل منها إلى ثقافة عربية تقليدية متقادمة هي أصل الوعي التقليدي في الحاضر والماضي. فمشروع طه حسين جماعي، سياسي واجتماعي، ويمكن القول إن طه حسين ترك منهجا في العمل الثقافي يتلخص في الاقتراب العقلاني الشجاع من الأسئلة الممنوعة التي تعيد اكتشاف التاريخ العربي— الإسلامي بعيدا عن المزايدات والنرجسية والتعالي

2-1المنهج، الجناية والمحاكمة:

لقد جوبه هذا المشروع بالرفض المطلق، فقد تعرض النقد إلى منهج "طه حسين" ولم يُباركه لأنه اخترق المقدس، بهذا الشك المستورد من المستشرقين – على حد إدعاء البعض– يقول أنور الجندي في كتابه خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الحديث ((أما في العصر الحديث، فإنّ المحاولة التي جرت بإغراق الأدب العربي في مناهج النقد الأدبي، فإنها لم تتم بإرادة قادة اليقظة ولكنها تمّت في حالة ضعف هذه الإرادة وتسلط بعض الأدباء الذين تولى إعدادهم وتصديرهم قادة التغريب والغزو الثقافي من خلال حركة التبشير والاستشراق ومن هنا فقد دفعوا هذه المناهج من مختلف

الجوانب، ووضعوا قاعدتهم الأولى على أساس فصل الأدب عن الفكر الإسلامي وفصل اللغة عن العروبة والإسلام، وهي النظرية الفاسدة الضارة التي أذاعها الدكتور طه حسن في كتابه "في الشعر الجاهلي"))[12].

فأنور الجندي ساخط على هذا التوجه الذي ساهم فيه "طه حسين" وبعض المستغربين، ورأى أنه مضرٌ، بالتفكير السليم والمنظم، في أمة علّمت العالم طرائق التفكير المنظم، ورأى أن هذا المشروع مشروع تدميريٌ للهوية العربية الإسلامية، ويستنكر هذه التبعية والخضوع من رجل يُكن له المجتمع العربي التقدير والاحترام. ففي لحظة ما يائسة اعتقد أنور الجندي بأن "طه حسين" للمذاهب الغربية، فهو في تمرده هذا آلة هدم للقيم المختلفة التي ترسّخت في الذهن العربي منذ عهد بعيد، فهو خاضع للمذهب الاجتماعي الذي يؤمن بجبرية الإنسان إذ تغيب الإرادة والمسؤولية عنه فهو دمية بشرية وحسب. وأن كتابات "طه حسين" عن "المتنبي" و"ابن خلدون" كان قد خضع فيها "لبلاشير" و"دوركايم" خضوعا تامة، وهيمن عليه هذا الفكر في كل أحواله الإبداعية. ولكن عندي أن "طه حسين" يعتد بالفكر الشمولي الذي يجمع السياسة والاجتماع، ولايتهور في إصدار الأحكام لأنّ الرجل قارئ متميز يتعامل مع ما يُطرح بذكاء، فهو عارف بالشعر العربي وبالدين وبالتاريخ والفلسفة، ولذلك نرى أنّ هذا التحامل على "طه حسين" كان مرده الخوف من المجهول الآتي من الأقلام الجاهلة بكل قيمة من قيم الأمة، وليس يخفى أن المشهد الذي يبتنيه غير واحد من أشباه المفكرين الآن محكوم من الغرب بتلاوين ورموز مخربة للذات العربية الإسلامية ومسلطة غضبها – بدون وعي– على الموروث الديني وغيره من الموروثات الأصل في الأمة العربية الإسلامية. فشك "طه حسين" هو في الواقع شك أدباء العرب ومفكريهم في القديم.

3– الافتراضات التي جاء بها "طه حسين" في رفضه للشعر الجاهلي:

المشروع "الحسيني" جاء بفرضيات كثيرة حرك بها الفعل الإبداعي في وقته، وقد ركز على القضايا الآتية:

أولاً: الشعر الجاهلي لا يمثل ذلك العصر تمثيلا كاملاً، ولا يُصور البيئة الجاهلية التي صورها القرآن الكريم، فبيئة الشعر الجاهلي بيئة قلقة متشظية، بينما بيئة الشعر الجاهلي مسالمة هادئة.

ثانياً: شعر النقائض مثلا أكثر تمثلاً لحياة الجاهليين من الشعر المنسوب لعنترة وطرفة والشنفري وغيرهم من شعراء الجاهلية.

ثالثاً: القرآن الكريم يمثل الحيوات: السياسية والاجتماعية والاقتصادية ويصورها بأفضل ماصورها الشعر الجاهلي الذي لم يُقدم سوى صورة غامضة ومعقدة وبريئة عن الجاهلية.

رابعا: الشعر الجاهلي بيعد عن أن يتمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنه قيل فيه، إذ كان لكل قبيلة لغتها ولهجتها الخاصة بها نظراً للعزلة وعدم المواصلات المادية والمعنوية من جهة أخرى يقول "طه حسين" ((فأنت تستطيع أن تقرأ هذه المطولات أو المعلقات التي يتخذها أنصار القديم نموذجا للشعر الجاهلي الصحيح، فترى أن فيها مطولة لامرئ القيس وأخرى لزهير وأخرى لعنترة وثالثة للبيد وكلهم من قيس ثم قصيدة لطرفة وقصيدة لعمرو بن كلثوم وقصيدة أخرى للحارث بن حلزة وكلهم من ربيعة. تستطيع أن تقرأ هذه القصائد السبع دون أن تشعر فيها بشيء يشبه أن يكون اختلافاً في اللهجة أو تباعداً في اللغة أو تبايناً في مذهب الكلام)) [13].

خامساً: الانتحال كان بسبب السياسة والعصبية والدين والقصص والشعوبية والرواة والحاجة إلى الشواهد اللغوية، كما أن نحل الشعر ليس مقصودا على أمة العربية، بل كل

الأمم التي بدأت حياتها البدائية شعراً كالأمة اليونانية والرومانية، فالنقد الغربي لازال يشك في الإلياذة والأوديسا وفي هوميروس وغيره.

هذه بعض الافتراضات التي جاء بها "طه حسين" في رفضه للشعر الجاهلي، وقد تعرضت هذه للنقد والاعتراض منها:

– أن نظرية الانتحال التي مررها "طه حسين" في هذا الكتاب تدل على اضطرابه وعدم قدرته على التحكم في المادة المعرفية، وهو بهذا ينساق إلى بعض الأمور الدينية والتاريخية دون وجه صحيح، ولم يقدم الشواهد المدللة على مذاهبه.

– القول بأن القرآن الكريم يصور الحياة الجاهلية، تصويراً دقيقاً هذا صحيح ولكن القرآن الكريم في منهجه يتعارض مع منهج الفن والأدب برغم اشتماله على كثير من القيم الفنية والأدبية[14].

– القول بأن الحياة الجاهلية ظاهرة في شعر الفرزدق وجرير وذي الرمة والأخطل لاستند على دليل، فالشعر الجاهلي يتمثل قوة خارقة في التصوير لم يتفطن لها الدكتور "طه حسين"، وكان حريص أصحابه على الدقة في تصوير هذه الحياة.

– أيضاً من الخطأ رؤية الحياة الاجتماعية بأكملها في الفن والأدب، ذلك أن الأدب والفن يقصر عن تمثل هذه الحياة المتحولة والمتجددة.

4– خصائص منهج "طه حسين":

ولعل مايميز منهج "طه حسين" هو:

- إستناده على "العلم" و"الفن".
- الدعوة إلى استكشاف النص وقراءته القراءة المنظمة
- الدعوة إلى التحقيق والضبط
- الدعوة إلى التذوق، وفي هذه المرحلة تتكشف شخصية الناقد وروحه
-

الخاتمة:

لقد أثارت كتابات "طه حسين" نقاشاً كبيرا، فتح بها آفاقا واسعة وجديدة من حقول البحث والتفكير، فقد كان عصر "طه حسين "مهيّأٌ لتقبل تلك المعارك الأدبية التي أثارها الرجل، لان أفكاره عن الحداثة الغربية والتراث العربي شكلت وعي أجيال بأكملها، وكاد يتنبّأ بمصير الأمة العربية في تبعيتها للغرب فيما يُسمى الآن بما بعد الحداثة. فلقد حاول أن يرسم موقعا لهذه الأمة يدعوها فيه للتبعية للغرب بوعي واقتدار، فقد علم من غير مصدر معرفي أنّ علة الخيبات المتتالية التي هيمنت على الذات العربية لحظة تصادمها مع الغرب كان بفعل عدم فهم هذا الغرب، وعدم التسلح بخصوصية بحثية تُمكن لنا في الأرض، فنهضة الفكر العربي لا تأتي من تلقاء نفسها بل لابدّ من التلاقح بغيرها من الثقافات لتسهل لها مهمة المقارنة والانفتاح.

وقد أدرك "طه حسين" أن الأمة الجديدة لابدّ أن تكون فاعلة في محيطها الإقليمي، وأن تؤمّن حماية ما في تلك الأمة من تنوع ثقافي، وأن ترفض الجمود، وتجتهد في رفض الخرافات، لأنه ليس في التراث تلك الحقيقة المطلقة التي تعلو فوق المنطق، كما أنه ليس في العقل الغربي تلك النجاعة التي يتوهمها القارئ العادي لهذه الثقافة.

الهوامش:

(1)- ماذا بقي عن طه حسين سامح كريم ص:62

(2)- ماذا بقي من طه حسين سامح كريم ص62

(3)- ماذا بقي من طه حسين سامح كريم ص39

(4)- ماذا بقي من طه حسين سامح كريم ص:48

(5)- ماذا بقي من طه حسين سامح كريم ص:51

(6)- عمالقة عند القرن عبد العزيز المقالح ص:50

(7)- عمالقة عند القرن عبد العزيز المقالح ص:50

(8)- عمالقة عند القرن عبد العزيز المقالح ص:50

(9)- في الأدب الجاهلي طه حسين ص ص 67-68

(10)- موقف النقد الأدبي من الشعر الجاهلي محمد رجب البيومي ص:60

(11)- المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين المجلد الخامس ص:117

(12)- خصائص الأدب العربي أنور الجندي ص:69

(13)- في الأدب الجاهلي طه حسين ص:71

(14)- الرؤية الحضارية والنقدية في أدب "طه حسين" يوسف نور عوض:109